دسائس اليهود، وتآمر قريش، وصبر المسلمين

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة القلم الآيات من ١٧ – ٢٢].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة النساء الآية ١٠٥].

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة النساء الآية ١١٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٠٨].

* * *

obeikandl.com

«المدينة.. المسلمون من المهاجرين يتذاكرون ما كان من أمر قريش وأهل مكة معهم.. كيف اختبرهم الله تعالى وابتلاهم فأخفقوا، وكيف أعطاهم من فضله ونعمه فبطروا وبخلوا؟!!.. وكيف بعث فيهم محمدًا بالنور الهادى إلى رب العالمين فضلوا وعادوه وحاربوه وأخرجوه واستحلفوا له! كيف بلغ بهم الغرور أن يقسم شيطانهم أبو جهل يوم بدر بأيمان مغلظة بأصنامه التى يعبد، على أنه سوف يأتى بالمسلمين أسارى مقيدين! يقول لأتباع حماقته وغروره وطيشه: «خذوهم أخذًا، فاربطوهم بالحبال لا تقتلوا منهم أحدًا»!! يريد بأوهام شياطينه أن يأخذهم أسرى يتعابث بهم بمكة.. يجاريه فى جموحه ونزقه مشركو قريش وسراة مكة.. هؤلاء الذين بطروا بنعمة الله، وبخلوا بعطائه، وضلوا عن السبيل الهادى الذى أتاحه سبحانه وتعالى لهم..».

«النبى - ﷺ - فى خلوته يتحنث ويتهجد ويناجى ربه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة القلم الآيات من ١٧ - ٢٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، وقد أشرق الصبح عن حَدَثٍ لا يُعرف له مُحْدث أو مقارف.. يصحو بداره رفاعة ابن رافع يتفقد ما اشتراه بأمس من الضافطة (أنباط يجمعون الميرة والمتاع لبيعها بالمدن) من الدرمك (الدقيق الأبيض النقى)، طعامًا له ولعياله، وجعله فى مشربة بداره فيها سلاح له ودرعان وسيفان بما يصلحهما.. يفجأ رفاعة بالمشربة وقد نُقبت بليل، وسرق ما فيها من طعام وسلاح.. يركبه الغم والهم والغيظ.. يطير إلى ابن أخيه قتادة بن النعمان..».

* * *

«دار قتادة بن النعمان.. يدخل عليه رفاعة ابن رافع.. عجوز طاعن.. بادى الغيظ والكمد..».

رفاعة بن رافع : هل علمت يا ابن أخى؟!.. قد عُدى علينا فى ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذُهب بطعامنا وسلاحنا!

قتادة بن النعمان : هل استقصيتم يا عم؟

رفاعة : تحسسنا وسألنا، فقيل لنا إن بنى أبيرق بشر وبشير ومبشر قد استوقدوا نارًا فى هذه الليلة.. يقول من شاهدوا النار إنها ما كانت إلا على بعض طعامنا!

قتادة : هذه ليست ببينة!

رفاعة : لقد أنكروا واصطنعوا الغضب ونحن نسأل فى الدار.. هاجوا وأغلظوا واتهموا لبيد بن سهل – قالوا ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل..

قتادة : (مستكبرًا) هذا رجل منا ذو حسب ونسب وفيه صلاح وإسلام!

رفاعة : ما إن سمع لبيد ما قالوه حتى اخترط (استل) سيفه وانطلق إلى بنى أبيرق! أشهر عليهم سيفه وتوعدهم قائلاً لهم: أنا أسرق؟! فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة..

قتادة : فما فعل بنو أبيرق؟!

رفاعة : قالوا له إليك عنا، فما أنت بصاحبها.. (مستأنفًا) وقد سألنا يا ابن أخى فى الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها!

«تبدو الحيرة على قتادة.. لا يدرى ما يقول!».

رفاعة : (مستحثًا) لو أتيت رسول الله - ﷺ - فذكرت له؟

قتادة : أفعل إن شاء الله.

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. يدخل قتادة بن النعمان ميممًا إلى الرحمة المهداة - ﷺ..».

قتادة : (للنبى مستجيرًا) يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمى رفاعة بن رافع فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه.. فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه!..

النبى : سآمر (سأنظر) فى ذلك..

* * *

«دار بنى أبيرق وقد تناهى إليهم أن الأمر قد رفع إلى رسول الله - ﷺ - وأنه سوف ينظر فى الأمر - يخافون من سوابق بشر بن أبيرق وتطاوله على النبى عليه السلام بأشعار يهجوه فيها

ثم ينحلها (ينسبها) كاذبًا إلى بعض العرب!!..
يخشى بنو أبيرق أن يأخذهم النبى عليه السلام بما فعله ويفعله بشر بن أبيرق.. يطيرون إلى ابن عم لهم هو أسير بن عروة.. ينقلون إليه خوفهم وتوجسهم، فينطلق وقد اجتمع إليه أهل الدار ينشدون الرحمة المهداة - ﷺ..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى عليه السلام فى صحابته وقد اجتمع إليه بنو أبيرق ومعهم أسير ابن عروة».

أسير بن عروة : يا نبى الله، إن قتادة بن النعمان وعمه رافع قد عمدا إلى أهل هذا البيت منا هم أهل إسلام وصلاح - يرمونهم بالسرقة عن غير بينة ولا ثبت؟!

«النبى عليه السلام ينصت بعمق.. لا يبادر بجواب.. يرسل فى استدعاء قتادة بن النعمان».

* * *

«المسجد النبوى، النبى المصطفى عليه السلام فى مجلسه.. يأتيه قتادة بن النعمان، يريد أن يؤكد ما اتهم به بنو أبيرق.. يسأله النبى عليه السلام عما إذا كان بيده ثبت أو بينة، فلا يحير جوابًا..».

النبى : (لائمًا معاتبًا) عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة من غير ثبت ولا بينة؟!!

«قتادة بن النعمان مبهوت مطرق، لا يجد ما يقوله..»

«بعد أيام تتناقل المدينة أن الدرع سرقه يهودى يدعى زيد بن السمين (أو ابن السمين).. تتبع آل رفاعة بن رافع الدقيق المتساقط يوم جرى نقب مشربة الدار، فوجدوه يشير إلى دار اليهودى.. تجمعت حوله الشبهات، وتناقل الناس أنه السارق!!».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى ﷺ فى صحابته، يلم به بنو أبيرق يريدون أن يؤكدوا براءة طعمة بن أبيرق..».

بنو أبيرق : (للنبى) يا نبى الله، إن صاحبنا برىء، وإن سارق الدرع زيد بن السمين.. وقد أحطنا بذلك علمًا، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك!

«النبى ﷺ يهم أن يصدقهم.. فجأة يندفع إلى داخل المسجد يهودى متهدج الأنفاس.. هو زيد ابن السمين.. يبادر إلى النبى ﷺ مستغيثًا!!».

اليهودى زيد بن السمين : (وهو يكاد يجهش بالبكاء) والله ما سرقتها يا أبا القاسم، ولكن طرحت علىّ!

بنو أبيرق : (متداخلين) يا رسول الله، إن هذا اليهودى الخبيث يكفر بالله وبما جئت به!!

«يتلاحى الناس.. لا يكاد أحد يجزم بما حدث.. يتحاجى كل فريق بما يعتقده أو يتبناه!.. تريد الأنصار من الرسول ﷺ أن يجادل عن طعمة المسلم، وأن يكذّب اليهودى..».

«النبـى - ﷺ - ينصـرف عنهـم إلى ربه، فؤاده معلق به سـبحانه وتعالى، يلتمس من لدنه المـدد والهداية.. يوافيـه جبريل عليه السلام فيوحى إليه بالصواب، ويلقنه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء الآيات من ١٠٥ - ١١٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«بعد أيام، وقد انبلج الحق، وظهر الدرع.. يستدعى النبى عليه السلام قتادة بن النعمان فيسلمه الدرع ليردها إلى عمه رافع..».

* * *

«دار رافع بن زيد بن رفاعة.. يدخل عليه قتادة بن النعمان حاملاً الدرع بادى الغبطة والسرور يناوله سلاحه».

قتادة : هذا هو سلاحك يا عم.. قد..

رافع : (مقاطعًا) قد علمت يا ابن أخى.. هو منّى فى سبيل الله!

قتادة : (راضيًا بصنيع عمه) قد انكشف أمر ابن أبيرق، ما إن علم بما نزل من قرآن على رسول الله حتى أماط اللثام عن كفره ولحق بالمشركين فى مكة يعيد سيرته ويتقول الأشعار يهجو بها النبى ﷺ...

«النبى - ﷺ - فى تعبده وتهجده، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة النساء الآية ١١٥].

(يرتفع الوحى)

* * *

«يهود المدينة فى بخلهم وتقتيرهم المنزرع فى نسيجهم، كتموا به خبر رسالة محمد عليه السلام، ويغالبون به الأغيار، ويستغلونه فى

الإثـراء والمزيد من كنز الأمـوال لإقراضها بالربا الفاحش لمن يحتاج.. لا يجـدون بأسًا من تصدير طبعهـم – أو بضاعتهم – إلى الأنصار ما دام ذلك يقلبهم أو يؤخرهم عن مناصرة الرسول الذى أضج وأضجـت دعوته مضاجعهم وأشـجت أيامهم، وملأت بالأسـى والحزن والإحبـاط لياليهم.. لا يدرون بماذا يفتون فى عضد الرسـول والدعوة.. مـا إن يدبروا أمرًا حتى يرتـد عليهم تدبيرهم.. تهيئ لهم شـياطينهم أنهم ربما بالغون بالحصار والتخذيل ما أخفقوا فى بلوغه حتى الآن!!».

«يتفـق كبار اليهـود وزعماء عشـائرهم على محاولـة تخذيل الأنصار مـن حول النبى ﷺ والمهاجريـن.. يجتمـع علـى ذلـك رأى كعب ابـن الأشـرف وحليفه كَرْدَم بن زيد، وأسـامة ابـن حبيـب، ونافع بن أبى نافـع، وحيى بن أخطب، وبحرى بـن عمرو، ورفاعة بن زيد بن التابوت.. يزمعون أمرهم ويتناوبون زيارة الأنصار فى دورهم.. يظهرون الحب لهم والحرص عليهم والخوف من أن تتبدد أموالهـم فـى تأييد «محمد» بغـير طائل.. يجتمعـون بنفـر من كبار الأنصار يحرضونهم متوددين مداهنين!!».

اليهود : (ناصحـين فى خبث ودهـاء) إننا نخـاف عليكم دوائر الأيام.. لا تنفقـوا أموالكـم، فإنا نخشـى عليكـم الفقـر فى ذهابها.. (محـرضين) لا تسـارعـوا فـى النفقـة فإنكـم لا تدرون ما سوف يكون؟!!

«لا يبدو على الأنصار أنه قد انطلى عليهم تحريض اليهود لهم.. ولكنهم لا يظهرون ما اطلعوا عليه من نفاقهم وسوء نواياهم حتى يلقوا الرسول عليه السلام فيطلعونه على ما كان!».

«النبى - ﷺ - فى خلوته يتعبد ويناجى ربه، يوافيه الروح الأمين..».

جبريل : (يوحى إلى محمد) ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة النساء الآيات من ٣٧ - ٤٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، واليهود لا يكفون عن محاولات الوقيعة والتخذيل والتفرقة والتشتيت.. ساءهم وغاظهم وأضناهم أن آمن بعض كبارهم بمحمد - ﷺ - ها هو الحصين بن سلام قد افتتح

السبيل، وتسمى بعد إسلامه بعبد الله بن سلام.. اتبعه فى التصديق برسالة محمد ﷺ، أسد ابن عبيد، وثعلبة، وابن يامين، وأسد وأسيد ابنى كعب، وشعبة بن عمرو، وقيس بن زيد.. يختلف اليهود إليهم، يبغون إثارة أشواقهم إلى اليهودية!.. يزينون لهم أن يحادثوا النبى ﷺ فى أن يترخص معهم وأن يعطى نصيبًا لكتابهم.. أليسوا أهل الكتاب.. أليس الإسلام يعظم شرائع موسى.. إذن فلا بأس من أن يدعهم يعظمون يوم السبت وأن يسبتوا كما درجوا على تعظيمه فى شريعتهم.. وأليست التوراة كتاب الله، فليدعهم يقيمون بها الليل، وأن يتركوا من الإبل ولحومها ما جعل الإسلام تركه مباحًا.. يريد اليهود بهذا التحريض والتزيين أن يشتتوا قلوب من أسلموا منهم، وأن يبثوا الاضطراب والحيرة والبلبلة فى نفوس المسلمين»..

«النبى - ﷺ - فى خلوته يتعبد ويتحنث ويتهجد، يناجى ربه ويبتهل إليه ألا يقطع عنه مدده، وأن يرعى دعوته ويحفظها مما يريده اليهود والمشركون بها.. يتنزل عليه الروح الأمين فيلقنه من كلام رب العالمين..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ

فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

[سورة البقرة الآيات من ٢٠٨ – ٢١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة فى ربيع أول من السنة الثالثة للهجرة.. الجو ملبد بغيوم وعداوات ودسائس ومؤامرات تحيط بالمسلمين وتنشد القضاء على الإسلام.. قريش تتأهب للثأر ليوم بدر، وتؤلب وتحالف القبائل، وأطراف المسلمين معرضة كل يوم لغارات يشنها المتحالفون والمغامرون والأعراب.. يضطر المسلمون لإرسال البعثات لتجوب فى الجوار وتؤمن الأطراف وتوادع من تستطيع موادعته من القبائل.. بينما تعج المدينة بطوائف من المنافقين يضمرون من الشر والرغبة فى الإيذاء غير ما يظهرون، أما اليهود فقد أفلت من معظمهم كامن مشاعرهم.. نقضوا العهد الذى أعطاهم وأبرمه معهم الرسول ﷺ، وآذوا المسلمين، وتعابثوا ناهكين عرض إحدى المسلمات.. وسط هؤلاء تزعم كعب بن الأشرف قوافل الشر.. يزين ويوسوس ويتآمر ويدس

ويدبر.. انكشف ستره يوم نصر بدر حين قال: لبطن الأرض خير من ظهرها، ثم لم يستطع أن يكتم ما يجول بنفسه، فشد الرحال إلى مشركى قريش يحرضهم بمكة على الثأر من المسلمين، وبتحريضه خرج أبو سفيان على رأس الحملة التى أغارت على أطراف المدينة وقتلت الأنصارى وحليفه وحرقت النخيل – لم يرضه إيقاع الأحداث، فأراد مزيدًا من دفعها لضرب الإسلام ورسوله.. يسافر على رأس فريق من كبار يهود مرة ثانية إلى مكة، يزين ويحث ويدبر ويحرض، لا يجد بأسًا تحقيقًا لمآربه من أن يقول لمشركى قريش إنهم أهدى سبيلاً من الإسلام.. ينسى أنه من أهل الكتاب، وأن ما يخفونه منه قد حمل البشارة برسالة محمد عليه السلام.. لا ينى كعب بن الأشرف ولا يفتر.. لا يهدأ ولا يدع أحدًا يهدأ.. يثب إلى من أسلموا من اليهود يوسوس لهم ويحرضهم على مراجعة النبى عليه السلام طلبًا لرخصة يعودون بها إلى تعظيم أيام السبت وإقامة الليل بالتوراة، ويتجه بدسه إلى الأنصار فيحذرهم من ضياع أموالهم على الإسلام، وينذرهم بالفقر والإملاق إن لم يقتروا ويحسبوا حساب الأيام!! يطوف بين أهل المدينة بالتشتيت والتخذيل عن الإسلام ورسوله – ﷺ – لا تتوقف رسائله إلى قريش والقبائل لحثها على الخروج للإغارة على المسلمين.. لا

توقفه عن غيه وشـطه مسالمة ووداعـة المسلمين وإيثارهم السـلام، بل تزيـده جموحًا وطمعًا فى الإجهـاز على الإسـلام وعلى نبىّ الإسـلام.. يستقبلون أبا سفيان فى حصونهم بليل، ويؤونـه ويـدارون عليه ويرشـدونـه إلى أن يشـن غارته الغادرة علـى أطـراف المدينة!! يرصف كعب الأشـعار ويبثها إلى الـرواة فى هجاء الرسـول والتأليب على المسـلمين والتشـبيب بنسائهم.. يشتط به جموحه ويذهب فى عدائه وكيده بعيدًا بعيـدًا حتى يدبر مع حيى بـن أخطب وزعماء بنى النضـير لقتل النبـى عليه السلام وهو فى ديارهم فى مهمـة سـلام.. يخادعونه وصحبـه بأنهم يولون لهم بينما يتآمرون بزعامة وقيادة وتوجيه كعب بن الأشـرف لإلقاء حجـر ضخم عليه من علٍ للإجهاز عليه.. أوشـك كعب بن الأشـرف ورفاقـه أن ينالـوا بغيتهم لـولا عناية الله تعالى التى تداركـت النبى وصحابتـه وكفت أيديهم عنهـم وتنزل الذكر الحكيم بهـذه الآية الربانية يقـول للرسـول عليه السلام وللمسـلمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المائدة الآية ١١].. لا يمضـى يوم إلا ويسـعى كعب بن الأشـرف بشره ودسائسـه وأفاعيله لإيذاء الرسول وضرب

الإســلام.. يروم كعب بن الأشرف وأقران السوء مــن اليهود والمنافقين أن يؤلبــوا مجتمع المدينة من داخله لبعثرة الإســلام والمســلمين، وتهيئة الأرض للهجوم عليه مــن أطرافه بزعامة قريش ومن حالفت من القبائل.. لم يعد فى قوس الصبر منــزع، وبات جليًّا أن ترك كعب بن الأشــرف وخياناته وما يفعل، قضاء على الإسلام وتعريض للدعــوة لأهول الأخطار!!!!».

«المسلمون فى قلق بالغ مما يدبره ويفعلـه كعب ابن الأشرف، يجتمعون ويتشاورون، ولا يرون حلاً لحماية الإســلام إلا فى الخلاص مــن هذا الذى يشن عليهم الحرب بضراوة جامحة ينشد تقويض الدين وقتل رسوله المصطفى ﷺ.. النبى ﷺ لا يخفى ضيقه بما يفعله كعب، ويدعو ربه قائلاً: «اللهم اكفنى ابن الأشــرف بما شــئت فى إعلانه الشر وقوله الأشعار».. يقول ﷺ للمسلمين: من لى بكعب بن الأشرف فقد آذانى؟!».

«بحى مــن أحياء المدينة، نفــر من الصحابة قــد التأموا يــرون ما يمكن صنعــه للخلاص من هذا الباغى.. محمد بن مســلمة، ونفر من الأوس منهم عباد بن بشر وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة: أخو كعب بن الأشرف فى الرضاعــة، والحارث ابن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، يتشاورون فيقــرون على أنه لم يعد بــد من الخلاص منه.. يتواعدون على اللقاء بليل ليبلغوا غايتهم..».

«بحـــى من أحيـــاء المدينة، وقـــد أرخى الليل سدوله، ولا من شيء إلاَ ضوء القمر فى نحو النصف من ربيع أول.. يتلاقى المتواعدون، فيحثون السير حتى أشـــرفوا على دار كعب بن الأشرف.. يقف الجميع منتحـــين ببعيد.. بينما يتقـــدم أبو نائلة أخوه فى الرضاعة، فينادى عليه!!».

«كعـــب بداره.. يثب مـــن فراشـــه وقـــد سمع نداء أبى نائلة فتفزع زوجته وتأخذ بملحفته..».

زوجة كعب : (قلقة) أين تذهب فى هذه الساعة؟!

كعب بن الأشرف : هذا رضيعى أبو نائلة، ومحمد بن مسلمة.

زوجة كعب : فى هذه الساعة؟! ألا يعرفان أنك حديث عهد بعرس؟!.. أخشى عليك أن تنزل فى هذه الساعة، فإنك رجل محارب!

كعب : (وهـــو يضرب الملحفة بيده) إنما هـــو أخى أبو نائلة، لو دُعى الفتى إلى طعنةٍ بليلٍ أجاب!

«ينســـلت كعب من زوجته ويخرج متوشـــحًا بسيفه..».

* * *

«بقريب من الدار، أبو نائلة وكعب بن الأشرف وقد امتد بينهما الحديث حتى أنس كعب، وزال ما به من توجس.. وأخذا يتناشدان الأشعار حتى بلغ السمر غايته..».

كعب : (لأبـــى نائلة) حاجتـــك، لعلك أحببـــت ألاّ يكون عندنا أحد؟

أبو نائلة : إنــى كرهت أن يســمع النــاس ذَرْو (أطــراف) كلامنا، فيظنــون!.. (يســتأنــف بعد برهة) كان قــدوم هذا الرجل (محمــد) علينا من البلاء، وحاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وتقطعت الســبل عنا حتــى جهدت الأنفس وضاع العيال، أخَذْنا بالصَّدَقَة ولا نجد ما نأكل؟!!

كعب : (مســتريحًا لكلام أبى نائلة) قد والله كنت أحدثك بهذا يا ابن سلامة، إن الأمر سيصير إليه!

أبو نائلة : إنــا وقد اتبعنــاه فلا نحب أن ندعه حتــى ننظر إلى أى شــىء يصير شــأنه، وقد جئتك ومعى رجــال من أصحابى علــى مثل رأيــى، وقد أردت أن آتيك فنبتاع منك طعامًا أو تمرًا وتحسن فى ذلك إلينا، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة..

كعب : أما إن رفاقــى تقصف تمرًا، من عجوة تغيب فيها الضرس، أما والله ما كنت أحب يا أبا نائلة أن أرى هذه الخصاصة بك، وإن كنت من أكرم الناس علىّ.. أنت أخى، نازعتك الثدى!

أبو نائلة : اكتم عنا ما حدثتك من ذكر محمد..

كعب : لا أذكر منه حرفًا!.. (يســتأنف بعد برهة) يا أبا نائلة، أصدقنى ذات نفسك، ما الذى تريدون فى أمره؟

أبو نائلة : (مخادعًا) خذلانه والبعد عنه..

كعب : سررتنى يا أبا نائلة! فماذا ترهنونى؟.. أبناءكم ونساءكم؟

أبو نائلة : (عاتبًا) لقد أردت أن تفضحنا وتظهر أمرنا! ولكنا نرهنك من الحلْقَة (الدرع والسلاح) ما ترضى به..

«ينصــرف أبــو نائلــة ليعــود بأصحابه إلى كعب!!..»

* * *

«على مقربة من دار كعب، هو وأبو نائلة وأصحابه يتماشون إلى قرب شرج العجوز (موضع قرب المدينة) وقد شملتهم ظلمة الليل المقمرة.. يصطنع أبو نائلة الرغبة فى استنشاق عطر كعب – فقد كان حديث عهد بعرس..».

أبو نائلة : (وهو يدخل يده فى رأس كعب) ويحك، ما أطيب عطرك هذا يا ابن الأشرف!

«فجأة يمسك أبو نائلة بقرون رأس كعب (بضفائر شعره) وينادى فى أصحابه أن يجهزوا على عدو الله!! وقد كان!!».

* * *

«المدينة فى جمادى الأولى من السنة ٣ هـ.. تتقاطر الأنباء إلى الرسول ﷺ والمسلمين بأن بنى سليم جمعوا جمعًا كبيرًا ببُحران.. يريدون أطراف المسلمين، ويتهيأون للإغارة.. يتشاور النبى ﷺ مع أصحابه.. يقر الرأى على الخروج لهم».

«بعد يوم، بظاهر المدينة.. النبى ﷺ فى نحو ثلاثمائة من أصحابه، يغذون السير إلى بُحران..».

«فى الصحراء – على مسافة ليلة من بُحران، يصادف المسلمون رجلاً يحوم فى المكان.. يعترضه المسلمون..».

بعض المسلمين : (للرجل) ممن الرجل؟

الرجل : من بنى سليم.

المسلمون : فأين قومك؟!.. بلغنا أنهم جمعوا ببُحران جمعًا!

الرجل : قد افترقوا بأمس ورجعوا إلى مائهم..

«المسلمون يتشـــككون فيما يقول.. يحجزونه مع بعضهم حتى يستوثقوا من صدق ما يقول..».

* * *

بعــد ليلــة، ببُحــران.. يصل المســلمون فلا يجــدون فى البقاع أحدًا.. تــدل آثار النّعم على أن القــوم أقاموا أيامًا ثم عدلوا عما أزمعوه وعادوا إلى مضاربهــم وموارد مائهم.. لا يبادر المســلمون بالرحيل.. يمكثون ببُحران بضع ليال لتتســامع العرب بخروجهم فلا يتجرأ المغامرون والأعراب عليهم!!».

«مكة فى جمادى الآخرة ســنة ٣ هـ.. منتدى قريــش بظاهــر الكعبة وقد أزمعت خــروج قافلة لها وتخشى المســلمين بعدما أغارت قريش على المدينة، وفشت أنباء تآمرهـا مع اليهـود والقبائل المجاورة!!.. يحذرون ســلوك طريق الشــام، لا يدرون أى طريق يسلكون ليتفادوا المسلمين مخافة أن يثأروا للإغارة التى شنوها على أطراف المدينة وحرّقوا فيها النخيل وقتلوا الأنصارى وحليفه!!».

صفوان بن أمية : إن محمــدًا وأصحابه قد عوّروا (أفســدوا) علينا متجرنا، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه، إنهم لا يبرحون الساحل!

قرشي : قد وادع محمد أهل الساحل، ودخل عامتهم معه!

قرشي آخر : (وقد تملكته الحيرة) لم نعد ندرى أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن فى ديارنا.. ما لنا بها نفاق (جمع نفقة)!

أعرابى : (متداخلاً) إنما نزلناها على التجارة.. إلى الشام فى الصيف، وفى الشتاء إلى أرض الحبشة!

الأسود بن المطلب : تنكبوا عن الساحل، وخذوا طريق العراق.

صفوان : لست بها عارفًا!

أبو زمعة : فأنا أدلك على أخبر دليل بها.. يسلكها وهو مغمض العينين.

صفوان : من هو؟

أبو زمعة : فُرات بن حيّان العِجلىّ.. قد دوخها وسلكها!

صفوان : فذلك والله!

«ترسل قريش فى استدعاء الدليل فيأتيها على عجل..».

صفوان : (إلى فرات) إنى أريد الشام، وقد عوّر علينا محمد متجرنا لأن طريق عيراتنا عليه.. فأردت طريق العراق.

فرات بن حيان : فأنا أسلك بك فى طريق العراق، ليس يطأها أحد من أصحاب محمد – إنما هى أرض نَجْد وفَيافٍ.

صفوان : فهذه حاجتى، أما الفيافى فنحن شاتون وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل!

«ينصرف فرات بن حيان لتجهيز نفسه، بينما يتنادى صفوان بن أمية وكبار القرشيين للتجهز لخروج القافلة..».

* * *

«دار كنانـــة بن أبى الحُقيق فى حصون يهود بنـــى النضير بالمدينـــة... يتنادم مـــع قادم من مكة: نُعيم بن مســـعود الأشجعى، ومعهما سليط ابن النعمان بن أســـلم.. تلعب الخمر برؤوسهم، فيذكر نعيم خروج صفـــوان والقافلة.. يطير أحد الحاضرين بالخبر إلى المسلمين..».

* * *

«زيـــد بن حارثـــة على رأس ســـرية فى نحو مائة راكب، تحث الســـير ضاربة فى الصحراء، تصـــادف القافلة فى القَـــرَدَة (من أرض نَجْد بين الربـــذة والغمرة، ناحيـــة ذات عرق).. تعترضُها الســـرية وتعود بالعير والأســـرى.. فى الأســـرى الدليل: فرات بن حيان.. يعلن إســـلامه، يقبل المســـلمون منه ما أظهره من شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فيمنُّون عليه ويطلقونه من الأسر بغير فداء..».

* * *